حكمة العلماء

قال رجلٌ لعبد الله بن أبي داود: متى كان الله ﷻ؟

قال: ومتى لم يكن؟

قال الملحدون لأبي حنيفة: في أي سنة وجد ربك؟

قال: الله موجود قبل التاريخ والأزمنة لا أول لوجوده.

قال لهم: ماذا قبل الأربعة؟

قالوا: ثلاثة.

قال لهم: ماذا قبل الثلاثة؟

قالوا: اثنان.

قال لهم: ماذا قبل الاثنين؟

قالوا: واحد ..

قال لهم: وما قبل الواحد؟

قالوا: لا شيء قبله ..

قال لهم: إذا كان الواحد الحسابي لا شيء قبله فكيف بالواحد الحقيقي وهو الله! إنه قديم لا أول لوجوده ..

قالوا: في أي جهة يتجه ربك؟

قال: لو أحضرتم مصباحا في مكان مظلم إلى أي جهة يتجه النور؟

قالوا: في كل مكان ..

قال: إذا كان هذا النور الصناعي فكيف بنور السماوات والأرض؟!

قالوا: عرّفنا شيئاً عن ذات ربك؟ أهي صلبة كالحديد أم سائلة كالماء؟ أم غازية كالدخان والبخار؟

فقال: هل جلستم بجوار مريض مشرف على النزع الأخير؟

قالوا: جلسنا ..

قال: هل كلمكم بعدما أسكته الموت؟

قالوا: لا.

قال: هل كان قبل الموت يتكلم ويتحرك؟

قالوا: نعم.

قال: ما الذي غَيَّره؟

قالوا: خروج روحه

قال: أخرجت روحه؟

قالوا: نعم.

قال: صفوا لي هذه الروح، هل هي صلبة كالحديد أم سائلة كالماء؟ أم غازية كالدخان والبخار ؟

قالوا: لا نعرف شيئا عنها !!

قال: إذا كانت الروح المخلوقة لا يمكنكم الوصول إلى كنهها فكيف تريدون مني أن أصف لكم الذات الإلهية ؟

كتب بعض العلماء للإمام (مالك) رحمه الله يا إمام ما تقول في الفرض، وفرض الفرض، وما يتم به الفرض، وصلاة لا فرض، وصلاة تَرْكُها فرض، وصلاة بالطول والعرض، وصلاة بين السماء والأرض، وصلاة في السماء والأرض؟

فكتب رضي الله عنه: أما قول القائل: الفرض: فهو الخمس صلوات، وفرض الفرض فهو الوضوء، وأما قوله ما يتم به الفرض فهو الصلاة على رسول الله ﷺ، وأما قوله: صلاة لا فرض فهي صلاة الصغير قبل البلوغ وأما الصلاة التي تَرْكُها فرض فهي صلاة السكران، وأما الصلاة التي بالطول والعرض فهي صلاة (يونس) في بطن الحوت، وأما الصلاة التي بين السماء والأرض فهي صلاة سليمان عليه السلام، وأما الصلاة التي في السماء والأرض فهي صلاة رسول الله ﷺ ليلة المعراج.

كان هنالك مجموعة من العلماء يحقدون على الإمام الشافعي ويدبرون له المكائد عند الأمراء .. فاجتمعوا وقرروا أن يجمعوا له العديد من المسائل الفقهية المعقدة لاختبار ذكائه .. فاجتمعوا ذات مرة عند الخليفة الرشيد الذي كان معجبًا بذكاء الشافعي وعلمه بالأمور الفقهية، وبدأوا بإلقاء الأسئلة والفتاوى في حضور الرشيد.

فسأل الأول: ما قولك في رجل ذبح شاة في منزله ثم خرج في حاجة فعاد وقال لأهله: كلوا أنتم الشاة فقد حُرِّمَتْ علي .. فقال أهله: ونحن كذلك حرمت علينا.

فكّر قليلاً فأجاب الشافعي: إن هذا الرجل كان مشركاً فذبح الشاة على اسم الأنصاب وخرج من منزله لبعض المهمات فهداه الله إلى الإسلام وأسلم فحرمت عليه الشاة وعندما علم أهله أسلموا هم أيضاً فحرمت عليهم الشاة كذلك.

وسُئل: شرب مسلمان عاقلان الخمر .. فلماذا يُقام الحد على أحدهما ولا يُقام على الآخر؟

فكّر قليلاً: فأجاب إن أحدَهما كان صبياً والآخرُ بالغاً.

وسُئل: زنا خمسة أفراد بامرأة .. فوجب على أولِهم القتل .. وثانيهم الرجم .. وثالثِهم الحد .. ورابعِهم نصفُ الحدِّ .. وآخرهم لا شيء؟

فكّر قليلاً فأجاب: استحل الأولُ الزنا فصار مرتدًا فوجب عليه القتل .. والثاني كان محصناً .. والثالثُ غيرَ محصنٍ .. والرابعُ كان عبداً .. والخامسُ مجنوناً.

وسُئل عن: رجل صلى ولما سلّم عن يمينه طلقت زوجته!! .. ولما سلّم عن يساره بطلت صلاته!! .. ولما نظر إلى السماء وجب عليه دفع ألف درهم؟

فكّر قليلاً ثم قال الشافعي: لما سلّم عن يمينه رأى زوج امرأته التي تزوجها في غيابه فلما رآه قد حضر طلقت منه زوجته .. ولما

سلم عن يساره رأى في ثوبه نجاسة فبطلت صلاته .. فلما نظر إلى السماء رأى الهلال وقد ظهر في السماء وكان عليه دين ألف درهم يستحق سداده في أول الشهر.

وسُئل: ما تقول في رجل أخذ قدح ماء ليشرب .. فشرب حلالاً وحرم عليه بقية ما في القدح ؟

فكّر قليلاً فأجاب: إن الرجل شرب نصف القدح فرعف (أي نزف) في الماء المتبقي .. فاختلط الماء بالدم فحرم عليه ما في القدح !

وسُئل: كان رجلان فوق سطح منزل .. فسقط أحدُهما فمات فحرمت على الآخر زوجته ؟

فكّر قليلاً فأجاب: إن الرجل الذي سقط فمات كان مزوجاً ابنته من عبده الذي كان معه فوق السطح .. فلما مات أصبحت البنت تملك ذلك العبدَ الذي هو زوجها فحرمت عليه.

إلى هنا لم يستطع الرشيدُ الذي كان حاضرًا تلك المساجلة أن يخفي إعجابه بذكاء الشافعي وسرعة خاطرته وجودة فهمه وحس إدراكه .. وقال لبني عبد مناف: لقد بينت فأحسنت وعبرت فأفصحت وفسرت فأبلغت.

فقال الشافعي: أطال الله عمر أمير المؤمنين إني سائل هؤلاء العلماء مسألة فإن أجابوا عليها فالحمد لله وإلا فأرجو أمير المؤمنين أن يكف عني شرهم، فقال الرشيد: لك ذلك وسَلْهُمْ ما تريد يا شافعي .. فقال الشافعي: مات رجلٌ وترك 600 درهم .. فلم تنل

أخته من هذه التركة إلا درهمًا واحدًا .. فكيف كان الظرف في توزيع التركة ؟؟

فنظر العلماء بعضُهم إلى بعض طويلاً ولم يستطع أحدهم الإجابة عن السؤال، فلما طال بهم السكوت طلب الرشيد من الشافعي الإجابة.

فقال الشافعي: مات هذا الرجل عن ابنتين وأم وزوجة واثني عشر أخاً وأختٍ واحدةٍ .. فأخذت البنتان الثلثين وهما *400* درهم .. وأخذت الأم السدسَ وهو *100* درهم .. وأخذت الزوجة الثمنَ وهو *75* درهم .. وأخذ الاثنا عشر أخاً *24* درهمًا فبقي درهم واحد للأخت.

فتبسم الرشيدُ وقال:

أكثر الله في أهلي منك .. وأمر له بألفي درهم فتسلمها الشافعي ووزعها على خدم القصر.

ذهب أحد المجادلين إلى الإمام الشافعي، وقال له: كيف يكون إبليس مخلوقاً من النار، ويعذبه الله بالنار؟!

ففكر الإمام الشافعى قليلاً، ثم أحضر قطعة من الطين الجاف، وقذف بها الرجل، فظهرت على وجهه علامات الألم والغضب.

فقال له: هل أوجعتك؟

قال: نعم، أوجعتني.

فقال الشافعي: كيف تكون مخلوقاً من الطين ويوجعك الطين؟!

فلم يرد الرجل وفهم ما قصده الإمام الشافعي.

والتقى الإمام الشافعي رحمه الله بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ذات يوم فقال:

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي وإن كنا سويا في البضاعة

فرد عليه الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قائلاً:

تحب الصالحين وأنت منهم ومنكم سوف يلقون الشفاعة

وتكره من تجارته المعاصي وقاك الله من شر البضاعة

كان الإمام الباقلاني يمشي مرة فرأى جماعة من بعض الفرق المخالفة قد تحلقوا حول شيخ لهم يناظرونه في بعض المسائل، فأقبل عليهم القاضي أبو بكر، فلما رآه كبيرهم التفت لأصحابه قائلاً لهم: قد جاءكم الشيطان!

فسمع ابن الباقلاني كلامه وهو ما زال بعيداً عنهم ـ وهو من هو في حدة ذكائه وسرعة بديهته وحضور جوابه ـ فلما وصل إلى مكانهم جلس ثم أقبل عليهم قائلاً: قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾(مريم: 83) أي: إن كنت شيطاناً فأنتم كفار وقد سلطني الله عليكم!! ولا شك أن هذا الجواب رغم شدته هو محمود؛ لأنه قد لاقى موقعه، ولذلك صدر عن هذا الإمام. ولِسعَة علمه وفرط ذكائه وشدة نباهته وقع اختيار خليفة المسلمين عليه ممثلاً لدولة الإسلام، وحاملاً لرسالة الخليفة إلى ملك الروم.

تحدى أحد الملحدين- الذين لا يؤمنون بالله- علماء المسلمين في أحد البلاد، فاختاروا أذكاهم ليرد عليه، وكان الإمام أبا حنيفة، وحددوا لذلك موعدا.

وفي الموعد المحدد ترقب الجميع وصول الإمام، لكنه تأخر. فقال الملحد للحاضرين: لقد هرب عالمكم وخاف؛ لأنه علم أني سأنتصر عليه، وأثبت لكم أن الكون ليس له إله! وفي أثناء كلامه حضر الإمام أبو حنيفة واعتذر عن تأخره، ثم قال: وأنا في الطريق إلى هنا، لم أجد قارباً أعبر به النهر، وانتظرت على الشاطئ، وفجأة ظهرت في النهر ألواح من الخشب، وتجمعت مع بعضها بسرعة ونظام حتى أصبحت قارباً، ثم اقترب القارب مني، فركبته وجئت إليكم.

فقال الملحد: إن هذا الرجل مجنون، فكيف يتجمع الخشب ويصبح قارباً دون أن يصنعه أحد، وكيف يتحرك دون وجود من يحركه؟! فتبسّم الإمام أبو حنيفة، وقال له: أنت تعجبت من مركب قد تجمعت أشلاؤه وحدها ودعوتني كاذباً...؟ وأنت تريد مني أن أصدق أن هذا الكون قد خُلِقَ من غير خالق؟

وهنا عرف هذا المتحدث الشيوعي مقدار نفسه وانسحب من المناظرة التي كان خصمه فيها الإمام أبا حنيفة النعمان.

كان للإمام الأعمش سليمان بن مهران زوجة من أجمل نساء الكوفة، فجرى بينهما كلام، وكان الأعمش قبيح المنظر، فجاءه رجل يُقال

له أبو البلاد يطلب الحديث منه، فقال له: إن امرأتي نشزت عليّ، فادخل عليها وأخبرها بمكاني من الناس؛ فدخل عليها، وقال: إن الله تبارك وتعالى قد أحسن قسمتك، هذا شيخنا وسيدنا، وعنه نأخذ أصل ديننا، وحلالنا وحرامنا، فلا يغرنك عموشة عينيه، ولا خموشة ساقيه؛ فغضب الأعمش، وقال له: يا خبيث، أعمى الله قلبك، قد أخبرتها بعيوبي؛ ثم أخرجه من بيته.

ومرة أراد إبراهيم النخعي أن يماشيه، فقال له الأعمش: إن رآنا الناس معاً قالوا: أعور وأعمش؛ فقال النخعي: وما عليك أن يأثموا ونؤجر؟! فقال له الأعمش: وما عليك أن يسلموا ونسلم؟

ووقع نزاع بين الشيعة والسنة في حضرة العالم الفقيه ابن الجوزي في أيهما أفضل: أبو بكر أم علي؟ واحتد النزاع، ورضوا فيما بينهم بما يجيب الشيخ، فقال: أفضلهما من كانت ابنته زوجته، فقال الشيعة: يقصد علياً؛ لأنه زوج فاطمة ابنة الرسول ﷺ، وقال أهل السنة: يقصد أبا بكر؛ لأن ابنته عائشة كانت زوجة الرسول ﷺ.

ودخل سائل على جماعة من العلماء والفقهاء يتحلقون في جامع البصرة، فقال له أحدهم: يا هذا، لقد نزلت بواد غير ذي زرع، فقال السائل: نعم، ولكن يجبى إليه من ثمرات كل شيء، فضحك القوم وأعطوه.

ويقال إن هناك شاباً ذهب للدراسة في أحد البلاد الشيوعية وبقي مدة من الزمن ثم رجع لبلاده واستقبله أهله أحسن استقبال، ولما جاء موعد الصلاة رفض الذهاب إلى المسجد وقال لا أصلي حتى تحضروا لي أكبر شيخ يستطيع الإجابة عن أسئلتي الثلاثة.

أحضر الأهل أحد العلماء فسأل الشاب ما أسئلتك؟

قال الشاب: وهل تظن باستطاعتك الإجابة عنها حيث عجز عنها أناس كثيرون قبلك.

قال الشيخ: هاتِ ما عندك ونحاول بعون الله.

قال الشاب: أسئلتي الثلاثة هي:

هل الله موجود فعلاً؟ وإذا كان كذلك فأرني شكله؟

وما هو القضاء والقدر؟

وإذا كان الشيطان مخلوقاً من نار.. فلماذا يلقى فيها وهي لن تؤثر فيه؟

وما إن انتهى الشاب من الكلام حتى قام الشيخ وصفعه صفعة قوية على وجهه جعلته يترنح من الألم.

غضب الشاب وقال: لما صفعتني هل عجزت عن الإجابة ؟

قال الشيخ: كلا وإنما صفْعَتي لك هي الإجابة.

قال الشاب لم أفهم.

قال الشيخ: ماذا شعرت بعد الصفعة.

قال الشاب شعرت بألم قوي.

قال الشيخ: هل تعتقد إن هذا الألم موجود.

الشاب: بالطبع وما زلت أعاني منه.

قال الشيخ: أرني شكله.

قال الشاب: لا أستطيع.

قال الشيخ: فهذا جوابي عن سؤالك الأول كلنا يشعر بوجود الله بآثاره وعلاماته ولكن لا نستطيع رؤيته في هذه الدنيا.

ثم أردف الشيخ قائلاً: هل حلمت ليلة البارحة أن أحداً سوف يصفعك على وجهك.

قال الشاب: لا.

قال الشيخ: أو هل أخبرك أحد بأنني سوف أصفعك أو كان عندك علم مسبق بها.

قال الشاب: لا

قال الشيخ: فهذا هو القضاء والقدر لا تعلم بالشيء قبل وقوعه

ثم أردف الشيخ قائلاً: يدي التي صفعتك بها مما خُلِقَتْ؟

قال الشاب: من طين

الشيخ: وماذا عن وجهك؟

قال الشاب: من طين أيضاً.

الشيخ: ماذا تشعر بعد أن صفعتك؟

الشاب: أشعر بالألم.

الشيخ: تماماً.. فبالرغم من أن الشيطان مخلوق من نار.. لكن الله جعل النار مكاناً أليماً للشيطان.

في مقابلة تلفزيونية في قناة أمريكية مع أحد المشايخ الفضلاء:

قال المقدم: لم لا تتركون المرأة تقود السيارة؟

فرد الشيخ: الرئيس الأمريكي بوش هل كان يقود السيارة في شبابه؟

فقال المقدم: نعم.

قال الشيخ: والآن يوم أن صار رئيساً لأمريكا، هل يقود السيارة؟

قال المقدم: لا، بل لو أراد لمنعوه.

فقال الشيخ: ولم؟

قال المقدم: حماية له، وتكريماً له أيضاً.

فقال الشيخ: ونحن كذلك نمنع المرأة من قيادة السيارة، حماية لها، وتكريما لها، حيث يقود بها أبوها وأخوها وابنها وزوجها.

ومِمّا يُحْكَى عن علاّمة زمانه فضيلة الشيخ (محمد بن صالح العثيمين) رَحِمَهُ اللَّهُ أنه كان في مجلس مع سماحة الشيخ العلامة (عبد العزيز بن باز) رَحِمَهُ اللَّهُ فأبى الشيخ (ابن باز) إلا أن يترك إجابة الأسئلة للشيخ (ابن عثيمين)، ولما جاء السؤال الأخير اتفق إن كان الشيخ (ابن عثيمين) يُخالف

الشيخ (ابن باز في هذه المسألة! فقال الشيخ (ابن عثيمين): وخير ما نختم به المجلس جواب الشيخ (ابن باز).

ركب أحد طلبة العلم مع الشيخ الألباني رحمه الله في سيارته وكان الشيخ يسرع في السير.

فقال له الطالب: خفف يا شيخ فإن الشيخ ابن باز يرى أن تجاوز السرعة إلقاء بالنفس إلى التهلكة. فقال الشيخ الألباني رحمه الله: هذه فتوى من لم يجرب فن القيادة.

فقال الطالب: هل أخبر الشيخ ابن باز؟

قال الألباني: أخبره.

فلما حدّث الطالب الشيخ ابن باز رحمه الله بما قال الشيخ الألباني ضحك، وقال: قل له هذه فتوى من لم يجرب دفع الديات.

في إحدى المحاضرات التي تضم العدد الكبير والكبير من الطلاب كان الدكتور يتحدث عن القرآن الكريم وما يحمله من فصاحة ودقة عجيبة لدرجة أنه لو استبدلنا كلمة مكان كلمة لتغير المعنى، وكان يضرب أمثلة لذلك ... فقام أحد الطلاب العلمانيين وقال: أنا لا أؤمن بذلك فهنالك كلمات في القرآن تدل على ركاكته.

والدليل هذه الآية..﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ (الأحزاب: ٤).

لم قال رجل ولم يقل بشر؟! فجميع البشر لا يملكون إلا قلباً واحداً بجوفهم سواء كانوا رجالاً أو نساء؟!

في هذه اللحظة حَلَّ بالقاعة صمت رهيب.. والأنظار تتجه نحو الدكتور منتظرة إجابة مقنعة فعلا كلام الطالب صحيح لا يوجد بجوفنا إلا قلب واحد سواء كنا نساء أو رجالاً.

فَلِمَ قال الله «رجل»..؟!

أطرق الدكتور برأسه يفكر في هذا السؤال وهو يعلم أنه إذا لم يرد على الطالب سيسبّب فتنة بين الطلاب قد تؤدي إلى تغيير معتقداتهم ... فكر.. وفكر ووجد الإجابة التي تحمل إعجازاً علمياً باهراً من المستحيل التوصل إليه إلا بالتأمل والتفكير العميق بآيات الله ..

قال الدكتور للطالب: نعم، الرجل هو الوحيد الذي من المستحيل أن يحمل قلبين في جوفه، ولكن المرأة قد تحمل قلبين بجوفها إذا حملت فيصبح بجوفها قلبها وقلب الطفل الذي بداخلها.

ومن الأجوبة اللطيفة التي أجاب بها الشيخ ابن عثيمين عن سؤال أحدهم يقول فيه إنه متزوج ويريد الزواج بالثانية بنية إعفاف فتاة فقال له الشيخ ابن عثيمين أعط المال لشاب فقير يتزوجها وتأخذ أجر الاثنين؟

سُئل عالم عن الدليل على أن الله واحد فقال: أغنى الصباح عن المصباح.

التقى بعض خريجي إحدى الجامعات في منزل أستاذهم العجوز بعد سنوات طويلة من مغادرة مقاعد الدراسة، وبعد أن حققوا نجاحات كبيرة في حياتهم العملية، ونالوا أرفع المناصب وحققوا الاستقرار المادي والاجتماعي وبعد عبارات التحية والمجاملة طفق كل منهم يتأفف من ضغوط العمل والحياة التي تسبب لهم الكثير من التوتر، وغاب الأستاذ عنهم قليلاً، ثم عاد يحمل إبريقاً كبيراً من القهوة، ومعه أكواب من كل شكل ولون، أكواب صينية فاخرة، أكواب ميلامين، أكواب زجاج عادي، أكواب بلاستيك، وأكواب كريستال، فبعض الأكواب كانت في منتهى الجمال تصميماً ولوناً، ومن ثَمَّ كانت باهظة الثمن، بينما كانت هناك أكواب من النوع الذي تجده في أفقر البيوت، قال الأستاذ لطلابه: تفضلوا، وليصب كل واحد منكم لنفسه القهوة، وعندما بات كل واحد من الخريجين ممسكاً بكوب تكلم الأستاذ مجدداً: هل لاحظتم أن الأكواب الجميلة فقط هي التي وقع عليها اختياركم وأنكم تجنبتم الأكواب العادية ؟

ومن الطبيعي أن يتطلع الواحد منكم إلى ما هو أفضل، وهذا بالضبط ما يسبب لكم القلق والتوتر.

ما كنتم في حاجة إليه فعلا هو القهوة وليس الكوب، ولكنكم

تهافتم على الأكواب الجميلة الثمينة، وبعد ذلك لاحظت أن كل واحد منكم كان مراقباً للأكواب التي في أيدي الآخرين، فلو كانت الحياة هي: القهوة فإن الوظيفة والمال والمكانة الاجتماعية هي: الأكواب، ومن ثَمَّ فهي مجرد أدوات ومواعين تحوي الحياة، ونوعية الحياة (القهوة) تبقى نفسها لا تتغير، وعندما نركز فقط على الكوب فإننا نضيع فرصة الاستمتاع بالقهوة، ومن ثَمَّ أنصحكم بعدم الاهتمام بالأكواب والفناجين، ولكن بالاستمتاع بالقهوة.

استدعى الشاه في إيران علماء من السنة وعلماء من الشيعة حتى يقرب بينهم وينظر إلى وجه الاختلاف بينهم.

جاء علماء الشيعة كلهم أما علماء السنة فلم يأت منهم إلا واحد بعد أن تأخر عليهم فلما دخل عليهم حاملا حذاءه تحت إبطه .. فنظروا إليه علماء الشيعة، فقالوا: لماذا تدخل على الشاه وأنت حاملاً حذاءك!

فقال لهم بحكمة: لقد سمعت أن الشيعة في عصر الرسول ﷺ كانوا يسرقون الأحذية!

فقالوا: لم يكن هناك في عصر الرسول شيعة ..

فقال: إذن من أين أتيتم بدينكم؟!

انتهت المناظرة.

سئل أحد العلماء المسلمين في مؤتمر للأديان من قبل نصراني ويهودي: قالا له: إن أجبت اتبعنا دينك وإن لم تجب فمعنى ذلك أن دينكم ليس له قيمة.

قال: اسألا.

قال أحدهما: لماذا يحق للرجل المسلم أن يتزوج بنصرانية أو يهودية ولا يحق للنصراني أو اليهودي الزواج بمسلمة؟

أجاب العالم بعد أن سأل الله أن يلهمه الإجابة الشافية قال: آمنا بموسى فحق لنا الزواج باليهودية، وآمنا بعيسى فحق لنا الزواج بالنصرانية وأنتم آمنوا بمحمد يحق لكم الزواج بالمسلمة.

ذهب أحد الثقلاء إلى شيخ عالم مريض، وجلس عنده مدة طويلة ثم قال له: يا شيخ أوصني .

فقال له الشيخ: إذا دخلت على مريض فلا تطل الجلوس عنده.